٢٧

حائر بين الكتمان.. والجهر.!!

كنت مسئولاً عن الإعلام وهو ما يتطلب الشرح.. وعن مهام خارجية صعبة.. وحساسة..[1] وهو ما يتطلب الكتمان وتلك التجربة من أصعب التجارب في العمل السياسى وممارستهامرهقة للغاية.. وكنتُ مكلفاً بمسئولية من نوع ما في لحظةٍ ما.. في مواجهة متناقضات لا يستطيع التغلب عليها أو الإمساك بكل خيوطها.

وأظن أن هذا هو الموقف الذي وجدت نفسى فيه ومعى هذه المجموعة من الدبلوماسيين.. ومن الصحفيين طوال شهر أغسطس سنة (١٩٧٠)وكان مطلوباً منا عمل سياسى دقيق.. وهذا العمل هو أن نغطى سياسياً.. وإعلامياً قضية تحريك الصواريخ.. ثم أن نغطى سياسياً وإعلامياً قضية وقف إطلاق النار في حرب الاستنزاف.. ثم نغطى هذا مع طرفين متناقضين كل منهما له رأى مختلف.. فالأمريكان من ناحية آخذون موقف المشرف والموجه أو المقترح لوقف إطلاق النار وراء الأمم المتحدة.

---

(١) هنا يشير هيكل صراحة لموضوع جمعه بين وزارتي الإرشاد.. والخارجية.. وهو ما سبق وأشرنا إلى كونه أمراً غير موثق تاريخياً على الإطلاق.. وتتوه فيه الحقيقة.. والأقرب أن هذا لم يحدث فعلياً.

وخلافاً لمشروع (روجرز) وهذا موضوع شديد الدقة.. ونحن كنا نريده لأسباب سياسية.. ولكن بالدرجة الأولى كان ذلك لأسباب عسكرية.. وهى إتمام بعض التحركات الضرورية لاستكمال حائط الصواريخ في ظرف يسمح لذلك.. وألا تكون العملية مفتوحة.. أومكشوفة للطرف الإسرائيلى.. وأن يكون لها غطاء سياسى.. وكان أسلم غطاء في ذلك الوقت هو الموقف.. الذي نشأ نتيجة تنفيذ وقف إطلاق النار في منتصف الليل.

وتجاوزنا بمنطق معين بعد تغطية الموقف ولم يكن يمكن تغطيته بالطريقة اللازمة لأنه لابد أن يأتى في وقت بشكل ما يكون فيه قيود على وقف إطلاق النار وقيود على العمل فوق الجبهة.. وهناك نتيجة سياسية لا يريد أحد إفسادها وهذا موقف مع الأمريكان لا بد أن يعالج بشكل أو بآخر وفي نفس الوقت وقف إطلاق النار كان بمثابة مشكلة للدول العربية.. لكن ما هو أهم هو المقاومة الفلسطينية الموجودة في ذلك الوقت والمتمركزة في الأردن.. وهى على شكل جماعات متفرقة وموزعة من أقصى يمين إلى أقصى يسار.. وكلها على أى حال تتصور أن وقف إطلاق النار في هذه المرحلة لا يناسبها.

ونتذكر أن كل منظمات المقاومة على اختلاف أنواعها وعلى اختلاف اتجاهاتها كانت ترغب في دخول الدول العربية الرئيسية في المعركة.. ليس فقط تدخل ولكن تكون طرفا فاعلا فيها على أراضيها.. وهو ما يسمى بـ"حرب التوريط".. وما كاد ذلك يتحقق لها إلا وهى تجد سنة (٧٠) عملية وقف إطلاق النار على الجبهة المصرية.. وبالطبع على الجبهة الأردنية حتى لو كانت لمدة ٣ شهور.

ولم يكن يصح أن نشرح لجماعات المقاومة أن الهدف الرئيسى والأساسى مما فعلناه هو استكمال حائط الصواريخ لأن الجبهة بهذا الحائط وراءها وحاميا لها ستكون في وضع شديد الاختلاف.. وإذا شرحنا هذا الكلام سنجده في اليوم التالى مشاعاً في عمان.. وفي بيروت وفي كل منطقة في العالم العربى.

وهنا جزء من التناقض.. الذي كنت موجوداً فيه مع جماعة من خيرة الدبلوماسيين.. ومن خيرة الإعلاميين.. وقضت الظروف في ذلك الوقت أن أكون مسئولاً عن الإعلام ومكلفاً بأعمال تتبع وزارة الخارجية.. والمهمتان متناقضتان.. فطبيعة الإعلام أن يشرح

ويتحدث ويفيض في الشرح.. وطبيعة الخارجية لابد أن تتكتم وتوجه وتتحدث بحذر وبلغة هادئة.

وكان موجودٌ أمامنا أولاً اقتراح المبادرة.. وثانياً أننا قبلنا وقف إطلاق النار.. وأن الأمريكان يشكون في أننا نخالف الاتفاقية.. والشيء الآخر أن الفلسطينيين غاضبون من وقف إطلاق النار وهم لا يريدون ذلك.

وهنا هدف مطلوب لكن الضرورات اللازمة لكل جانب من جوانبه مختلفة.. وهنا تكمن صعوبة هذا الموقف. كنت أحاول مع (روجرز) وكنت أنفذ تعليمات من (عبد الناصر) أنه يجب استخدام كل الوسائل.. لأننا نعرف بوجود صراع في الولايات المتحدة حول من يمسك بأزمة الشرق الأوسط.. بين (روجرز) و(كيسنجر) مستشار الأمن القومى.

وطلب الرئيس (عبد الناصر) إدارة الأزمة بأى طريقة بحيث لا تشعر أمريكا بحرج لأنها المسئولة عن المبادرة في كل شيء.. بما فيه ضمان وقف إطلاق النار.. وبالتالى تدخل الإسرائيليين.. كما طلب شرح قضيتنا بحيث يبدو أمام العالم أننا لم نخالف.

وفي الوقت الذي تصورت فيه أن الأزمة هدأت وجدت (روجرز) يحدثنى في الهاتف بعد ثلاثة أيام.. وقال لى سيدى الوزير الأدلة متوافرة أمامنا على أنكم خالفتم.. وأن هناك مخالفات أعتقد أنكم لابد أن تعودوا عنها. وفي هذا الجو كان واضحا أن هناك مخالفات بشاهد عملى.. لأن الإسرائيليين حاولوا أن يستكشفوا ما الذي حدث ولا يستطيعون إثبات حاجة قاطعة.. لكن واضح أمامهم أن الخطوط المصرية حدث فيها تغيير.. وحاولوا جس النبض بتجربة عملية في السويس فسقطت لهم بعض طائرات الفانتوم. أنا شخصيا حينما أخبرنى الفريق فوزى بما حدث ترددت أن أذيع النبأ لفترة طويلة.. ولم أكن متأكدا أنه صحيح إلا بعد أن وجدت شاهدا في مذكرات (كيسنجر).. يقول إن (روجرز) أراد أن يجامل المصريين ولا يضبطهم متلبسين بعملية حائط الصواريخ.. وهذا كلف إسرائيل ٥ طائرات فانتوم سقطت.

وأثناء هذا الجو المضطرب قلت لـ(روجرز) أثناء حديثى معه إننا لم نخالف وقف إطلاق النار.. وقلت له إننى أعترف أن هناك حركة أثناء اتفاقية وقف إطلاق النار ولكن معيار ما يربطنى هل حدثت هذه التجاوزات بعد أن أبلغتك رسمياً في الواحدة

والنصف صباح يوم ٨ أغسطس.. وأن قرار وقف إطلاق النار سارٍ أم لا.. وهناك بعض التحركات الضرورية.. وكان هناك جنود لبعض الوحدات عادوا لها.

وهناك وحدة احتاجت أغذية ومعدات ذهبت لها معدات.. وهناك وحدة تطلب وحدات مستشفيات.. وقائد البحر الأحمر وهو الفريق الشاذلى كان لابد له أن يرجع.. فقلت له: ماذا نفعل في مثل هذا النوع من التحركات؟ وقال لى: يبدو أننا غير قادرين على التفاهم على معنى كلمة وقف إطلاق النار على المواقع.. وهو معناه أنه لا ينبغى أن تحدث أى تغييرات على الجبهة وقت أن أبلغتكم.. فقلت له إنكم أبلغتمونا قبلها بستة أيام أن هناك أشياء ستبلغ لنا.. وهذه شروط وقف إطلاق النار.. ولكن لم نبلغ بسريانه.. ولا تقول لى إنك لما أبلغتنى قبلها بخمسة أيام عن فكرة وقف إطلاق النار سأقف.. وأنا سأقف وقت أن أبلغتنى وسوف يبدأ سريان مفعول هذا الذي عرضناه عليكم من قبل من خمسة أيام في هذه الليلة.

وقلت له إنك لا تستطيع أن تحاسبنى على أى مخالفات بعد الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف ليل صباح ٨ أغسطس.. وما قبل ذلك استأذنتك فيه ورجوتك. وحاولت مع (روجرز) بكل الوسائل.. لكنى شعرت بحجم الضغوط وقتها لأنه حادثنى يوم ٩ ويوم ١١ وكان آخر مرة حدثنى يوم ١٧ أغسطس.. ووقتها قال لى إنهم سيعلنون بيانا.. ولم أعترض على هذا البيان.

ولما قرأت مذكرات (كيسنجر) فيما بعد أدركت حجم الضغوط.. التى تعرض لها (ويليام روجرز) وهذا لم يجعله بالنسبة لى ضحية لأن صراعاته كلها للصالح الأمريكى قبل أى شيء.. وهذه الضغوط لن تجعله صديقا لى أو أرجو صداقته وأراعيها فهو يعمل لمصلحة الولايات المتحدة.. وهذا موضوع ينبغى ألا أخطئ فيه أو يخطئ فيه غيرى.

وهنا معى نصوص لمكالمات مسجلة من الرقابة والإسرائيليين سجلوا لـ(برجس) سفير أمريكا بالقاهرة.. وهو يحادث (سيسكو).. وكنت طلبت وقتها من السفير (محمود رياض) وكيل الخارجية أن يكلم (برجس).. ويبلغه أن الإسرائيليين يخالفون وقف إطلاق النار.. وكنا نضغط على هذا البلاغ.. وأنهم يخالفون ويخرجون في دوريات ويتعمدون ضرب مواقع لنا وبعدها وقعت الطائرات.. وذكر (كيسنجر) بعدها أنها خمس طائرات.. وكنت في هذه الحالة أريد تغطية موقفنا. وهنا معى كلام لـ(ديان)

يقول إن المصريين قاموا بشيء خطير أكثر مما تتصور القيادة السياسية في إسرائيل.. أولها إنهم لم يفهموا اتفاقية وقف إطلاق النار.. وهى معناها باللغة العبرية التجميد الكامل.. ولكن المصريين لم يفهموا معنى التجميد.. وفهموا أنها تقليل الحركة.. وبالتالى فإن المصريين خالفوا وهناك دليل على أنهم خالفوا.

وكنا ندرك أن الوقت تغير الآن وفات عن موقف إطلاق النار بعد مرور أسبوع تقريباً.. لكن رابين قال إن الموقف تغير.. وأنه حدثت أشياء وتجاوزات وأننا أصبنا بضرب من هذا الذي جرى على الجبهة.. وأن الأمريكان هم المسئولون.. وعليهم تصحيح هذا.. وهم لديهم الوسائل.

وأخذ رابين خرائط الجبهة وما جرى عليها وذهب لمقابلة جنرال هيج.. والأخير كان مساعد (كيسنجر) للشئون العسكرية.. وهو حلقة الوصل بين مستشار الأمن القومى وبين الرئيس (نيكسون) لحساسية الأخير باليهود.. وكان مناخا غريبا لـ(نيكسون).. وحتى بينه وبين (كيسنجر) يريد أن يكون هناك أحد بينه وبين مستشاره للأمن القومى خاصةً في الشأن العسكرى.

وذهب رابين لجنرال هيج ومعه خرائط بارليف وقال له: إننا أمامنا موقف لا نستطيع معالجته وليست لدينا الوسائل لهذا الذي جرى على الجبهة المصرية في الفترة المحددة.. وأن المصريين خالفوا فيها وقف إطلاق النار.

وأنا أقول إن هذا الشعب عندما تأتيه الوسائل وعندما تواتيه الفرصة.. وعندما يأتيه الإلهام الوطنى يقوم بالمعجزات.. فلا أحد يتصور ما فعله الدفاع الجوى.. ومهندسو القوات المسلحة في هذه الساعات على الجبهة.

وقال هيج لرابين: لكى تتدخل الولايات المتحدة لا بد أن يكون لديها الحجة القاطعة المانعة أمام الاتحاد السوفييتى.. والموضوع هنا لا يتعلق بمصر والموضوع أن هناك أسطولا أمريكيا في البحر الأبيض.. وهناك أهداف ويمكنه أن يتدخل ويزيل حائط الصواريخ المصرى.. لكن أمامه أسطول سوفييتى موجود وإن كان أقل قوة لكنه قادر على صنع شيء.

ولكى نستطيع أن نفعل ما تريدونه ثم أن نواجه الروس بلهجة حاسمة وبدليل قاطع لابد أن يكون لدينا دليل قاطع.. فأنتم لم تقدموا دليلاً قاطعاً.. وهناك شواهد فقط.. وربما تكون هذه الطائرات قد سقطت من صواريخ قديمة.. وما أريد إثباته أن شيئاً ما

حدث في الجبهة في هذه الساعات لأنه كانت هناك طائرات سقطت قبل ذلك في يونيو أو يوليو.. وإذا كان هناك جديد فعلينا أن نقدم دليلاً ليس لمجرد سقوط طائرات.. وبالفعل كانت هناك مواقع خامدة وظاهرة موجودة على الخريطة.. لكنها لم تكن فاعلة.. ولكن كيف نتأكد أن هذا جرى بعد وقف إطلاق النار.

وأجد المناقشات وصلت إلى أن رابين قال إن هناك تغييرات كبيرة على الجبهة.. وأجد (كيسنجر) مستفيضاً في مذكراته في شرح ما جرى وللتنبيه لخطورة استمراره بهذا الشكل.. ونجده مخصصا في مذكراته لهذه الأزمة ٢٥ صفحة.. وأجد (كيسنجر) يقول:

"على وجه اليقين هناك شيء جرى لكن وزارة الخارجية أخطأت لأنها اختارت موعد وقف إطلاق النار منتصف الليل أى بعد أن ساد الظلام.. وكان من الأفضل أن يكون صباحاً لأن التصوير الليلى وقتها لم يكن وصل لهذه الدرجة الموجودة الآن".

وقال (كيسنجر) بعدها إنه حدث خطأ في توقيت وقف إطلاق النار.. وأن وزارة الخارجية أخطأت فيه.. وأنه للأسف مضطر أن يقول لرابين ولكل أصدقائه الإسرائيليين إنه لا يزال يحاول إقناع الرئيس (نيكسون) بتدخل أمريكا بضربه لإزالة حائط الصواريخ الجديد.. وأنهم يحتاجون لدليل حاسم.. وجلس رابين مع (نيكسون) في حضور (كيسنجر) وقال رابين: إن (جولدا مائير)تريد الحضور لتشرح بنفسها ما حدث.

لكن (نيكسون) قال: قد يكون كلامكم صحيحاً.. لكننا لا نستطيع أن نتصرف بالطريقة.. التى تريدونها لأنه ببساطة ينقصنا ما نستطيع أن نبنى عليه موقفا لأنه من الممكن أن يؤدى إلى مواجهه مع السوفييت.. وقال له جملة غريبة: "انتظروا ثلاثين يوما أو ستين يوماً.. فقد تحدث تطورات قد لا نتوقعها الآن".. وأنا استرجع هذه الجملة وتستوقفنى.. ففي هذه الأيام حدثت بالفعل تغييرات كبيرة جداً.. وأهمها اختفاء (جمال عبد الناصر).. وهنا تساؤلات حول أن تقال هذه الجملة في هذا الوقت.

وبعد هذه الجلسة أخذ (كيسنجر) رابين وذهبا لمكتب (كيسنجر) الذى قال: إذا كنتم لا تستطيعون تدمير الصواريخ لأسبابكم فنحن لن نستطيع أيضاً بسبب المواجهة مع السوفييت.

وكان هناك اقتراح للبنتاجون هو إمداد الإسرائيليين بصواريخ مضادة من طراز شرايك ويأملون في أن تخفف بعض الخسائر.

أظن أن الطاقم الإعلامى في ذلك الوقت نجح عن طريق إصابة طائرة إسرائيلية لأحد المواقع المصرية.. وكان هناك مراسلون أجانب جلبهم تحسين بشير في جولة على الجبهة.. وأثناء وجودهم في السويس حدثت الغارة.. وكانت لدينا تغطية ملائمة جداً بناء على رؤية مباشرة لصحفيين أجانب.

وكان (روجرز) مضطراً لإصدار بيان لكنه لم يتهم الطرف المصرى بخرق الاتفاقية صراحة. وأنا شخصيا طلبت من (عبد الناصر) أن يبقى الحال كما هو لأن لا ضرورة للجدل مع (روجرز).. وكان واضح أن لدينا معركة كبيرة مع الأمريكان لكنها تدار برقة ولين ودبلوماسية وتدار بالإعلام الأمريكى.. ويرى بنفسه ما حدث.. وهنا كانت هناك لغة معينة مطلوب استخدامها.. والحقائق تبقى نفس الحقائق.. ولا نستطيع أن ننكر أننا خالفنا.. لكننا كنا صادقين عندما أبلغنا أننا التزمنا.. وكنا صادقين قانوناً وأخلاقاً.. وكان يمكن أن يقول (روجرز) إنك خالفت الروح ولكنها مسألة محتاجة لمناقشة.

كنت أتصور أننى قمت بأشياء للمقاومة في ذلك الوقت فأخذت (ياسر عرفات) ليقابل (عبد الناصر).. واعتراف مصر بحركة فتح واستيلاء فتح على منظمة التحرير وأشياء كثيرة وسلاح ومساعدات قدمناهم للسوفييت.. وكنت أتصور ذلك بالتحديد.

كنت مشغولاً تماماً في مواجهة الجبهة الأمريكية حتى إن الفريق فوزى حدثنى في الهاتف يقول لى إن لديه مشكلة أن هناك إذاعة تتبع لوزارة الإرشاد القومى فلسطينية بدت تعارض قبولنا لمبادرة (روجرز) وقبولنا لوقف إطلاق النار وتعارضه بطريقة بها تجريح والمشكلة أن بعض العساكر المتطوعين العسكريين الموجودين قرب الوحدات المصرية يسمعونها ويستغربون.

وقال الفريق فوزى إن إدارة الشئون المعنوية ترى أن هذا الذي تقوله إذاعة فلسطين مؤثر.. وكنت وقتها مشغولاً للغاية بالجبهة الأمريكية.. وقرأت تقارير لكنى لم أكن أعرف أنها لافتة لهذه الدرجة.. ووجدت نفسى أنتقل من الجبهة الأمريكية إلى الناحية الفلسطينية.. وهناك فصائل وهناك هجوم ضارٍ.. وعندما نظرت إليها وجدت الفصائل الفلسطينية تنادى أنه إذا كانت الجيوش النظامية لا تستطيع.. وأنها تتصور وقف

إطلاق النار مستدلين بتصريح قلته وقتها.. وأنا لا أستطيع الحديث عن حائط الصواريخ.. ولا أستطيع القول إن الحرب تنتقل إلى نقلة نوعية أخرى رآها (عبد المنعم رياض) مبكراً.. ووضعت في الخطط وبدأت تبقى موجودة.. وبدا حائط الصواريخ يدخل تطبيقاً.. وأن تكون هناك نقلة جديدة تدخل الحرب.. ووجدت الكلام الذي أقوله يستعمل ضدى.. وطلبت الفصائل الفلسطينية وقتها بحرب تحرير شعبية.. لأن الجيوش النظامية يبدو أن لديها اعتبارات أخرى.. وأنه لابد أن تتحول المنطقة كلها لحرب شعبية.

وكنت استمعت لهذا الموضوع من قبل ذلك وناقشته مع عدد كبير من القادة الفلسطينيين.. وناقشته مع فصائل أخرى خارج فتح.. وكنت أعتقد وقتها أن القياس على الجزائر خطأ.. وعلى فيتنام أيضاً خطأ.. وهذا موضوع آخر.

ففي سيناء مثلا كيف أحارب حرباً شعبية وسوريا والإسرائيليون على بعد خطوات من دمشق.. وفي الأردن هناك مشكلة لأن هناك دولة ذات سيادة وأريد هذه الدولة وبرضاها تقديم هذه المساعدات.. ولكن تحويل الأردن إلى الميدان الداخلى الفلسطينى معناها أننا نقبل حتى في نفس الأحوال ما قالته إسرائيل وقبول الأردن بديلا لفلسطين.

وتحتاج المقاومة أن تعرف أن القياسات مختلفة وكله كلام لا يعقل.. لدرجة أجد عشرات المقالات عندما تحدثت عن الحرب الإلكترونية.. أجد من كتب مثلاً (الهيكلية والحرب الإلكترونية).. وما أزال أسمع (الهيكلية).. وأنا أقصد أننى اعتدت ذلك ولم يقلقنى هذا الموضوع.. لكن من كتب هذا الموضوع أجده يقول إنه يكتب باسم البرجوازى.. وليس لدىّ حرج أن أتحدث باسم البرجوازية.

والطبقة المتوسطة أجد أنه ليس هناك ما يديرها وهى أكبر طبقات.. وأهم الطبقات في المجتمعات.. وأنا هنا أتحدث بدافع الوطنية وأن بها طفرة.. وصواريخ إلكترونية.. وأنا لا أتحدث عن رأي أنا لا أعرف ما فيه.. وهذا رأى خبراء معتمدين في العالم..

وقلته شرحاً لم يستقر عليه تفكير طويل ولما نادى به خبراء كثيرون.. وهنا أجد من يقول إن ما كتبته عن الحرب الإلكترونية كلام فارغ.. وكله يثبت أننا نريد الهروب من الحرب وأن القضية هى الحرب الشعبية.. وأن الهروب إلى نعيم الالكترون والإفلاس والقضية هى الهروب من المجابهة ومستلزمات الحرب الشعبية إلى التعزز بالحرب

الإلكترونية.. التى يعرف (هيكل) جيداً أنها لن تقع وأن الكلام عنها نوع من الضحك على الذقون.

والغريب أنه في حرب أكتوبر أن الحرب الإلكترونية والمتمثلة في الصواريخ كانت هي الرئيسية.

والمشكلة هنا أنى كنت صديقاً لمنظمة التحرير ولـ(ياسر عرفات).. ولكل الفصائل في واقع الأمر.. فلا يأتى أحد اليوم يتهمنا بالتقصير.. فلا أحد يقصر بأى حال..

ولما تأتى فرصة مناقشة وقف إطلاق نار أو فرصة مناقشة سياسية لا يكون هناك اعتراض.. فهناك قضية لا يمكن أن يفهموها ويريدون فهمها.. وهى قضية لا يمكن لهذا الموقف الذي كنا فيه الزحف إلى تحرير كامل التراب الفلسطينى وإزالة إسرائيل.. فهذا كلام نوع من الشعر في هذا التوقيت خاصة من يقول أن تكون هناك حرب شعبية.. فهذا يتحدث من خارج العصر ومن خارج التاريخ.

وعندما نقول لهم إننا إذا نجحنا في إزالة آثار العدوان بالقوة إذن فقد انفتح الطريق وسيسقط المشروع الإسرائيلى.. فالمشروع الإسرائيلى لا يستطيع أن يتحمل هذا الكلام إطلاقاً.

وفي الفترة من ٦ إلى ٨ أكتوبر ذهب (ديان) لمجلس الوزراء الإسرائيلى سنة (١٩٧٣).. وقال (هيكل) إسرائيل في خطر لأنه ببساطة أى نجاح عسكرى مؤثر ومدوٍ أمام إسرائيل هذا في حد ذاته يكفي لإسقاط قدرة الكيان الإسرائيلى على البقاء بالقوة لأنه لا يستطيع أن يبقى لا بالتاريخ ولا بالجغرافيا ولا بالمواقع ولا بموازين القوى.. يستطيع أن يبقى بالصرح وإذا ضربت فكرة السلاح عنده إذن فقد دخلنا في منطق جديد.

وهناك جزء مهم فالفصائل مهمة.. ويبقى أنه في هذه اللحظة أى خلاف بينهم وبين مصر يأخذ شكلاً خطيراً قد يؤدى إلى وقوعهم في مصيدة هم لا يدركونها.. والثورية فعل صادر وتغيير حقيقى وأصيل والثورية هى التحرير.. ووسائله قضية كبيرة.. وقد تتفاوت العقلية العربية في درجات مختلفة.. لكننا لا نستطيع أن نتنصل منه فنحن لدينا هذا الجموح من العاطفة والشعور.

وكانت المقاومة في وضع خطير وإذا أصبحت في خلاف مع مصر.. فمعنى ذلك أنها أسلمت لقوة متربصة لها.. وهم كانوا موجودين في ذلك الوقت في الأردن. وسوريا

حريصة في ذلك الوقت على أنها تمنع وتدارى. ولبنان معرض لخطر.. وضمان المقاومة الموجودة في قرب فلسطين في الأردن هو أن تكون في علاقة أخذ ورد مع السلطات الأردنية.. وكان هناك تصعيد إعلامى شديد جداً.. وقيل إن هناك محاولة لاغتيال (الملك حسين).. وكانت لديه أدلة على ذلك..

وكان هناك قتلى في الشارع.. لكن هذا يدفع الفلسطينيين لمأزق.. وبدأ يكون هناك تشكيك وبدأت تستمع لإذاعات صادرة من القاهرة في مواجهة سياسات صادرة من القاهرة.. والكارثة أننى موجود في المجال السياسى وموجود مع العلاقات المصرية وأيضاً مع الاتحاد السوفييتى.. وقدمت (ياسر عرفات) ل(كوسيجين) .. وأنا أول واحد حصلت على ورقة بيضاء بها نصف مليون روبيل من فرادوف أعطاها للفلسطينيين.

وبدأ يتدخل بعض الناس للحد من هذا الخلاف وجاء العقيد (معمر (القذافي) لمصر.. ومعى محضر الاجتماع.. وكان من أظرف المحاضر في الفترة الأولى في أغسطس سنة (٧٠) وكان الموجودون (على صبرى) ومحمد فوزى ومحمد المقريف عضو مجلس قيادة الثورة الليبى ومختار القروى العضو في قيادة الثورة.

وتحدث (القذافي) وقتها عن الفدائيين.. وظهر موضوع آخر.. هو محاولات انقلاب في ليبيا وكنا نتابعها دون تدخل ولم أكن أتصور أنه لا يوجد خطر محدد.. وأجد سؤالا من محمد المقريف أن هناك أحد الذين استجوبوا في ليبيا يقولون إنه احتمال أن يخطفوا الملك السنوسى من الإسكندرية.. ويعودوا به على رأس قوات مضادة للثورة ويقلبوا الأمور في ليبيا.. وأنا لم أتصور باستمرار أن كل المواقف الدرامية الكبرى بها مواقف إنسانية صغيرة جداً.

ورد (عبد الناصر) قائلاً: إنه أولا لا يمكن أن يخطف الملك السنوسى من مصر والمسألة هنا صعبة.. والشيء الآخر أن الملك نفسه لا يريد العودة وسعيد بوجوده في القصر الموجود فيه بالمنتزه.. وأعرف أنكم تعملون كثيراً ولا تنامون.. أما هو فجالس على البحر ويرفض من يقول له جلالة الملك ويطلب أن يقال له يا حج.. وأخبرنا بأن هناك من يريده العودة لليبيا لكنه رفض.

وقال (عبد الناصر) إن موضوع الخطف صعب كثيراً.. وقال إن هناك نكتتين في الحكومة المصرية.. أولاهما أن هناك كلبا أراد التعبير عن نفسه فعبر الحدود بين مصر وليبيا.. ودخل يصيح "هوهو" ثلاث مرات وعاد مرة أخرى وسألوه: ماذا يفعل فقال:

نتيجة الكبت الموجود في مصر.. الثانية.. أن الكلب هرب في ليبيا وسألوه: لماذا هرب فقال: يقبضون على كل الجمال.. فقال: على بال ما أثبت أنى مش جمل مش حخلص.. و(جمال عبد الناصر) يحكى والموضوع يأخذ اتجاها آخر يدعو للقلق.

❖❖❖

عقل.. أم عاطفة؟

ولعل من المأثورات الشائعة أن السياسة فعل عقل لا دخل للعاطفة فيه أو هكذا ينبغى أن يكون لكن ما هو صحيح ليس دائماً ممكن لأنه في بعض الأحيان يجىء عمل سياسى هى سياسة بالدرجة الأولى وهى إدارة مصالح وأمن شعب أو أمة من الأمم.. وبالتالى ففي مصالح شعب وفي مصالح أمة العاطفة طبيعى ليست موجودة.بالفعل يقوم على هذه المصالح أناس لهم مشاعر لكن هنا ينبغى أن ينحوا مشاعرهم بالكامل.. وما قلته قد يكون صحيحا ولكن ليس غالباً في كل الظروف لأنه تجىء ظروف لبعض الناس المشتغلين بالعمل العام.. يجدوا أنفسم في مواقف تختلط فيها ضرورات السياسة بنوازع العاطفة حتى وإن لم يقصدوا.

وفي وقت تحريك حائط الصواريخ وقبول وقف إطلاق النار وهذا الموقف الملتبس في ضروراته وفي أحواله وفي أحكامه بدا أن هناك خلافا في العالم العربى بالتحديد بين السياسة المصرية وبين المقاومة الفلسطينية.. وكان هناك اختلاف دواعٍ لأن المقاومة الفلسطينية حقيقة كانت موجودة في ظرف له ملامح خاصة.. لأن المقاومة الفلسطينية ظهرت في وقت صدمة عربية.. وفصائل المقاومة بدأت سنة ١٩٦٥ بفتح لكنها لم تأخذ الزخم الذي أخذته ولا القوة التى أخذتها إلا بعد حرب (٦٧) وفيها اشتدت الحاجة بالضرورات المصرية البحتة لظهور مقاومة فلسطينية تعبر عن نفسها داخل الأرض المحتلة سواء في مواجهة قوى الاحتلال أو في مواجهة العالم الخارجى.

وهنا أصبحت المقاومة ضرورية جداً وأظن أن هنا لم تكن فقط قوة المقاومة الفلسطينية كما نبعت وهى ظاهرة طبيعية جداً ونبيلة.. لكن أيضاً ظهورها في هذه الظروف خلق بعضا من أسباب الالتباس التى تفاقمت فيما بعد لأنها جاءت وبدأت تقاوم ثم اعترفت بها مصر وأعطتها كل الوسائل التى وجدتها لازمة لها. واعتراف مصر ومساعدتها لها أتت لها بمزايا كثيرة جداً سواء في التعاطف الشعبى أو المساعدات

المالية أو العسكرية.. وكانت هناك قوى كثيرة في العالم العربى لا تستطيع المساعدة بسلاح أو قتال وليس لها جبهات..

وكان تعويضها الطبيعى جداً عن ذلك بالمال.. ونتيجة هذا أن الثورة الفلسطينية التى ظهرت أو التى اعترفت بها مصر سنة (٦٧) وعندما أقول اعتراف مصر بها سنة (٦٧) لا أعطى فضلاً لمصر.. وأقصد هنا أن قيمة اعتراف مصر في ذلك الوقت لأنها كانت الطرف العربى المقاوم الأكبر.. وهى التى كانت تتصدى.. ولضرورات أمنها هى ومصلحتها هى للصراع العربى الفلسطينى.

ومصر كانت الطرف القائد والفاعل في الميدان وليس لأى دعوة لا تاريخية أو حجب لأى شيء برؤاه وبمصالحه وبقوته كلها.. وهو الطرف الرئيسى في هذا الصراع واعترافه بالمقاومة هنا كان له قيمة.. التصدى للصراع وقيمة المسئولية.. وقيمة الدور عندما يمارس وليس الدور عندما يدعى به.. لأى سبب من الأسباب .واعتراف مصر بهذا أحدث نقلة نوعية للمقاومة الفلسطينية..

وعلى سبيل المثال الذي كان موجوداً في سوريا أو التى نشأت في الكويت والموجودة في سوريا والتى تقوم بعمليات محدودة.. دخلت وأصبحت قوة لديها وسائل للمقاومة سواء من السلاح أو من الأموال أو من الأفراد ثم استطاعت أن تجسد شيئاً مهم جداً في الصراع العربى أو التاريخ العربى وفي المقاومة العربية وفي كل الحركة العربية العامة للبحث عن مستقبل.

وأظن أنه حدثت التباسات في شأن المقاومة الفلسطينية.. أدت لمشاكل ظهرت في تلك اللحظة التى أتحدث عنها.. وأول هذه المشاكل أن ظهور المقاومة وقوتها في ذلك الوقت أحدثا تصورا ووهما أن المقاومة بديل.. ولم تكن كذلك لأنها قوة قادمة لكى ترتص وتقف بجوار قوة قومية موجودة في الساحة.. وهذه القوة الموجودة في الساحة وقد تلقت صدمة سنة (٦٧) بشكل ما وقع في روع بعض أطراف المقاومة وبأوهام داخلية أنها بديل وهى لم تكن بديلا لأن القضية الفلسطينية ببساطة قضية قومية عربية شاملة وإذا أصبحت قضية شعب فلسطين وحده فقد انحصرت واختلت موازين القوة فيها تماماً.

وبشكل أو بآخر في أثناء بحث الناس في أعماقهم عن قوة معنوية قد يخطئون في الحسابات أحيانا.. وأنا أتصور في ذلك الوقت بعض فصائل المقاومة الفلسطينية.. وأتحدث هنا.. حتى فتح خطر ببالها أنها قد تكون بديلا وتصورت بالوسائل الموجودة

عندها وبالتأييد الجماهيرى الموجود عندها وجزء كبير جداً منه كان موجودا هنا في مصر في واقع الأمر.. وكان يقدم لها أشياء كثيرة.. وأهمها الإذاعات التى كانت موجودة لخدمة القضايا الفلسطينية وبعضها موجود تحت تصرف.. فتح بالتحديد.

ولكن على أى حال بدا أن هناك أوهاما أن المقاومة أكبر من أى شيء آخر.. والشيء الآخر أنه بدت بعض الخلافات العربية خاصةً بعض الدول العربية المحيطة بالساحة الفلسطينية تؤثر على المقاومة وعلى فكرها.

وفي ذلك الوقت وحتى لا أظلم المقاومة كانت هناك تيارات إسلامية جانحة .. وهناك تيارات بعثية جانحة وتيارات قومية موجودة ولكن تفرقت بينها السبل.. وهناك أناس على الجبهة كحركة المقاومين العرب وهى من أحسن الحركات في فلسطين وأكثرها صلابة والتى تصورت أن الحل اختصار الطرق والتخلى عن الماركسية وتبنى الاقتراب للاتحاد السوفيتى لدرجة كاملة ويندمج معه لدرجة كاملة لأنها معركة بقاء..

ولا يجوز فيها حياد بين عدو وصديق وهذا كان كلام له أصداء لدينا.وهذه الانقسامات كلها بدت تدخل في الساحة الفلسطينية بدا هناك تضارب وفي نفس الوقت.. أيضاً هناك نماذج موجودة في المقاومة طرحت نفسها وأقرب النماذج الثورة الجزائرية أو الثورة الفيتنامية وبدت بعض فصائل المقاومة الفلسطينية تتصور أشكالا للصراع مستوحاة سواء من فيتنام أو من الجزائر ناسية اختلاف الظروف.. وبدأ يتحدث الناس عن الحرب الشعبية والحرب المستمرة إلى آخره.

ولكن في الحالة الفلسطينية.. والكلام عن الحرب الشعبية.. وفلسطين معظمها محتل والتكافؤ الإنسانى معدوم.. وكذلك السلاح غير متكافئ.. والجبهات المحيطة بإسرائيل كلها موجودة في مناطق لا تصلُح معها الحرب الشعبية.. فمثلاً دمشق على بعد ثلاثين كيلو من الجبهة.. والأردن في وضع في منتهى الصعوبة.. والضفة الغربية سقطت والضفة الشرقية تقاوم لكن هناك حاجز نهر وهناك نظام له رؤى أخرى مختلفة موجودة في عمان أو في الأردن.. وحساباته مختلفة.

وفي صحراء سيناء.. حينما نتحدث عن حرب شعبية فهو وهم ومن يتحدث بذلك فكأنه يعفي نفسه من الحرب كلها.. وفي واقع الأمر لم يكن هذا الكلام مقتصرا على الجبهة المصرية وحدها ولكن كل الجبهات والكلام في ذلك الوقت في اعتقادى

وفي السياسة المصرية أن الكلام عن حرب شعبية هو إعفاء للنفس من مسئولية المواجه لأن المواجهة مع إسرائيل في هذه الظروف وفي هذه الأوقات بموازين القوى كما هى لا يمكن إلا أن تدخل فيها الجيوش كعنصر رئيسى.. وأى كلام أنه يتحدث عن مقاومة شعبية ففي سيناء على سبيل المثال نظمت السياسة المصرية نوعا من المقاومة الشعبية.. وأنشأت منظمة سيناء لكن منظمة سيناء كانت في واقع الأمر قوات متطوعين وعدد سكان سيناء في ذلك الوقت لم يزد على ١٢٠ ألفاً وكانت هناك رغبة شديدة جداً في عدم تعريضهم للاقتلاع من مواقعهم.

والغريب أننا لا ننظر إلا لما وراء الأحداث.. يعنى نحن المفروض أن الأصدقاء في نفس المواقع.. والناس الذين يواجهون نفس القضايا والتحديات عليهم أن يذهبوا للتحقق فيما وراء الظواهر.. وأن أهم ما أُنجز ليس قبول وقف إطلاق النار ولا مبادرة (روجرز) لكنه كان تحريك حائط الصواريخ وهذا جعل ما سمى في ذلك الوقت بمبادرة (روجرز).. وهى مبادرة سلام وخطوة نحو الحرب وخطوة أساسية وشديدة الأهمية وثبت فيما بعد أنها الشكل الوحيد أو الضرورى.

ووجدت فصائل المقاومة أن هذا لا يناسبها لأسباب كثيرة.. وتجمعت عناصر الأوهام والانقسامات في العالم العربى وعدم القدرة على تشخيص أنواع الحروب المطلوبة لهذا الوقت في هذه اللحظة لهذا الميدان بالتحديد.. وتجمعت حتى الخلافات الدولية.. وتجمعت أشياء كثيرة فخلقت أوهاما.. وأظن أن تصور أناس كثيرين في الثورة الفلسطينية أنها أصبحت ليس فقط البديل ولكن البديل الأقوى.. وهم بالفعل لديهم شيء هائل وعندهم تضحية.. والوجود والقتال موجودان لكن غيرهم يقاتل بطريقة أقوى وأكبر على الجبهة المصرية على سبيل المثال.. وكان الوطن العربى كله يحاول الاستعداد.. وهم موجودون في ظروف منتهى الصعوبة لأنهم خارج الأرض يحاربون من خارج أرضهم.. ودول استضافتهم.. فهم فيها ضيوف ولبنان فيما بعد وغيرها. وهذا يفرض نوعاً من الحذر لكن توافر الموارد الهائلة التى أخذتها المقاومة.

وهو يستحق وضرورى.. في ذلك الوقت أغرى المقاومة وهذا ما قاله (ياسر عرفات) لرئيس الوزراء السوفييتى (كوسيجين) وقال له إن المقاومة الفلسطينية تقول إنها أقوى طرف في العالم العربى كله.. وأن لها حزبٌ في كل بلد عربى ويأتمر بأمرنا تقريباً

بأكثر من ما يأتمر بأمر حكومته والجماهير أوسع.. ونسوا أيضاً أن هذه الجماهير والوصول لهم كان عن طريق جهات أخرى وقد واجهتهم بهذا.

ولكن الموجودين في عمان بدت تساورهم أشياء أخرى.. ففي ذلك الوقت قضت الظروف أن أكون مسئولاً أو مكلفاً.. فكنت الرجل المسئول عن اتصال قيادة مصر بقيادة فتح.. وفي ذلك الوقت كنت وزير الإعلام الذي لديه محطات الإذاعة الموضوعة لخدمة المقاومة الفلسطينية وأولها إذاعة فلسطين.. والشيء الآخر أنني كنت موجوداً وأنا المتصدى لعملية وقف إطلاق النار ولتغطية حركة حائط الصواريخ.. وقد شعروا أن هناك شيئٌ يحدث على غير ما يرغبون وبدأوا يهاجمون بشدة.

وقد بدأوا في أول الأمر على استحياء ينتقدون.. وبدأت نغمة الانتقاد ترتفع وبعد ذلك بدأ التجاوز ثم الهجوم وعرّض من هاجمنى وقال: "الهيكلية الإلكترونية".. وزاد الهجوم بصراحة باستعمال وسائل مصرية في هجوم على السياسة المصرية..

وقلنا لهم بكل وضوح أن لهم الحق تماماً في رفض مبادرة (روجرز) لكنها لا تعنيكم.. وتعنى الدول المتضررة من عدوان (٦٧) وهذا الموضوع لن ينجح لأنه لا يوجد ما يسمى بالحل السلمى.. ولا مفر من استخدام القوة ولا مفر من المعركة.. وتحريك حائط الصواريخ في حد ذاته شاهد على أشياء كثيرة ويعنى أشياء كثيرة. وبدأت تزداد نغمة الهجوم وعدم مراعاة لظروف الأردن فأنا أعرف طبيعة النظام في الأردن والناس تعرف أشياء لكن هذا النظام له ضروراته وعلينا أن نحسب ماذا نريد.. لأن المضى في معارك دون أن يحسب أحد ما هو الهدف في هذه اللحظة وكيف يمكن تحقيقه بأى الوسائل وأى تكلفة يمكن أن تقع الناس في خطأ شديد جداً. وبدت المقاومة في عمان ليس فقط دولة داخل دولة ولكنها دولة في عمان.

.. وهى من هناك تريد أن تملى على السياسة المصرية ما تراه.. وهناك مسألة نحن حريصون عليها أكثر من كل الأطراف لأننا نعلم أن هذه المعركة معركتنا وأنهم شركاء في هذه المعركة وشركاء أصليون.. لكن هناك خطأ في هذا ولن نردهم عن الخطأ.. أو نحاول بقدر ما يمكن أن نبصرهم بما يجرى لكن لسنا مستعدين أن ندخل في صدام معهم.. واستخدام وسائل مصرية لعرقلة سياسة مصرية.

وعندما أنظر لبعض الوثائق أجد أن حرب البيانات زادت في عمان وإذاعة فلسطين من القاهرة.. وأجد إذاعة تصورت أنها معقولة وتقول إن مصر هى التى تقود وهى التى تقاتل

وهى الواقفة في الميدان وهى التى تتحمل العبء الأكبر وإذا رأت أن هناك ضرورات لوقف إطلاق النار في هذه اللحظة ولمدة محددة ولأسباب تراها ينبغى مناقشتها وليس الهجوم عليها.. ومناقشتها بالوسائل الودية وليس بالهجوم.

وأجد جريدة فتح.. لسان حال الحركة.. تكتب أنها تنشر النص الأصلى للحل السلمى.. وهو النص الأصلى لمشروع (روجرز).. على الرغم من أنه لم يكن هو المطروح والموجود في ذلك الوقت.. وعندما طرح في ديسمبر (١٩٦٩) لم ترد مصر عليه.. وقررنا ألا نتحدث فيه ورفضته إسرائيل وكان واضحا أننا نرفضه.

ولأسباب سياسية تركنا الموقف يتداعى من المحلى إلى الإقليمى إلى الدولى وقد تحقق ما أرادته السياسة المصرية.. وأشياء كثيرة جداً دخلت من ظهور مشروع (روجرز) وحتى مبادرة (روجرز) من ديسمبر ٦٩ وحتى أغسطس (٧٠) تغيرت الموازين بشكل فادح على جبهات القتال ولم يعد مشروع (روجرز) موجوداً.. وكتب في جريدة فتح أيضاً.. وثائق الحل الاستسلامى.. وتخرج بيانات عربية تقول إنه لا يجوز أن يلغى وجود الشعب الفلسطينى وأن الشعب المصرى سيواصل كفاحه المسلح حتى التحرير الشامل ولن يلتزم بوقف إطلاق النار.

ونحن نقبل وقف إطلاق النار نريد المقاومة الفلسطينية أن تعمل بكل ما لديها من وسائل داخل فلسطين وضد أهداف إسرائيلية تقلق الإسرائيليين ولا تترك لهم مجالاً لراحة.. ودخول حائط الصواريخ في واقع الأمر ألغى حتى مبادرة (روجرز).. وأعلنت (جولدا مائير)في ذلك الوقت تقبل هذه المطالبة.. أى أن المبادرة نفسها لم تعد موجودة.. وبالتالى فالكلام في هذا الوقت عن مشروع أو مبادرة (روجرز) والكلام حول حلول استسلامية كان خارج الحساب.. وأعتقد أنه شديد الضرر لهم بالدرجة الأولى.. ونجد حتى في إذاعة القاهرة هم يذيعون وفي التحريض والأوهام اشتدت المسائل.

كلمنى الرئيس (عبد الناصر) وقال لى إن برنامجاً ضمن الإذاعة المصرية وضمن الموجات العاملة يهاجم بشدة وحدثنى الفريق فوزى أيضاً.. وطلبت وقتها الأستاذ هائل عبدالحميد وكان معروفاً باسمه الحركى"أبوالهول" وكان مندوب المنظمة المقيم للتنسيق مع مصر وكان أكثر تنسيقه معى.. فأعطيته عينة من البرامج.. وقلت له إنه لا تستطيع دولة قبول ذلك.. فأنتم بالفعل تعرضون علاقتكم بالأردن للخطر.. وأنا أعرف ما هو الموجود بالأردن وهنا المسائل تزيد على حدها هناك.. ولدينا هنا الكلام ليس

معقولا والصورة واضحة أمامنا.. فقال لى أنتم عندكم حق وأنه سيرسل لفاروق قدومى أن يأتى لأن القيادة الفلسطينية في ذلك الوقت قسمت الاختصاصات بين أعضائها وأصبح (ياسر عرفات) المسئول والمتحدث باسم الثورة وأخذ عنده السلاح والإعلام والمال.. وبعده أبوجهاد مسئولاً عن العمليات.. وبعده أبوإياد مسئولاً عن الرصد وهو صلاح خلف.. وأبوالسعيد وهو خالد الحسن.. والمسئول عن الاتصالات الدولية.. و(أبواللطف) وهو فاروق قدومى الذي أصبح مسئولاً عن الإعلام.

فقال لى هائل عبدالحميد إن أبو اللطف سيتحدث معى وسيحل الموضوع.. لأن هذا الموضوع يصعب قبوله لأنه لم يصبح يتعلق بما يرفضونه.. أو يهاجمون ما يشاءون لأنه لا يمكن لأى طرف أن يستعمل وسائل طرف آخر للهجوم على سياساته.. وهنا مسألة دقيقة جداً وحساسة.. حيث جاء لى (أبواللطف) وقلت له بكل أمانة إنه بما تفعلونه تضعوننا في مشكلة كبيرة جداً.. وإن الدولة هنا لها سياسة وهذه السياسة ينبغى أن تدركوا أنها لابد أن تتحرك وفقاً لمعطيات الصراع.. وإن لم تكن لتتحرك قبلكم.. فهى ستتحرك على الأقل معكم.. لأنه الرؤيا المصرية في ذلك أن إسرائيل خطر يهدد الأمن القومى والعربى وأنها في هذا الموقع بالذات شديد الأهمية بالنسبة لنا وهذا ملتقى العالم العربى شرقه وغربه.. وملتقى البحرين الأبيض والأحمر وهذا صلة الوصل بيننا وبين المشرق كله وقد تكون صلة الوصل هى صلة الفصل.

ونحن في هذا الصراع ليس مصر الثورة.. ومصر طول التاريخ اعتبرت أن هذا معبر مهما جداً.. وأن فلسطين هى جسر وعتبة الباب المصرى.. وأن هذا الكلام من أول رمسيس الثانى والعصور الإسلامية ومحمد على.. إسرائيل باستمرار اعتبرت قضية بالنسبة لمصر في منتهى الأهمية.. وحتى النظام المصرى أول من بدأ والنظام الثورى جرب وفهم وهذه معركتنا والشعب المصرى فهم هذا كله.

فرد (أبواللطف) أنه يتفهم الموقف.. ووَعَدَ بإنهاء هذا الموضوع وأن هذه اللهجة ستتغير.. ولا يُعقل أن تعطونا إذاعات ونحن نستخدمها في الهجوم عليكم.. وتصورت أن هذا بالفعل سيحدث.. وبعد ذلك وجدت (أمين هويدى) مدير المخابرات يرسل لى برقية مُلتقَطة من قيادة فتح.. والمرسل منها بلغة الشفرة معناه أن قيادة فتح توجه الإخوة في الإذاعة وتطلب أن يقولوا كل شيء بلا تحفظ.. فنحن - أى قيادة فتح - ضد الحل السياسى ومحاولات الانحراف وكل التبريرات.

ووقف القتال مع العدو الصهيونى يعنى بدء القتال للمقاومة منفردة.. ولما أرسلها لى (أمين هويدى) كان (أبواللطف) موجوداً وهو عضو ونظر إليها وقلت له إن كل شيء في هذه البرقية استفزازى وقولوا كل شيء بتحفظ ولكن عندك.. وبعد ذلك ماذا يعنى أنكم ضد الحل السياسى.. فالعمل العسكرى في حد ذاته عمل سياسى.. والقوى هى استخدام سلاح لتحقيق هدف سياسى.. والتصور أن السلاح خارج السياسة أعتقد أن هذا الكلام به على الأقل خطأ وخطأ فادح.

وقلت له أننى لا أقدم تبريرات.. و(أبوعمار) يقول إن البندقية هى الحل الوحيد.. وأنا لم أمنعك من هذا.. وأنا أستعد لحرب بأكبر مما تتصور وأستعد لها بكل وسائل العصر.. والنقطة المركزية هنا حينما ذكروا أن وقف القتال مع العدو الصهيونى يعنى بدء القتال للمقاومة الفلسطينية منفردة. وهنا لدينا مشكلة وأنا أحد المعاونين بالتكليف لا يمكن قبول فكرة رهن كل شيء إلى أن يتحقق كل شيء.. وإذا كان المنطق العربى الذي يقول فيه فراس الحمدانى ونحن أناس لا توسط بينهم.. لدى القبر أو دون العالمين لدى الصدر.

(هيكل) يهدد فتح

وكل هذا كلام لا يصح.. فهنا تتقاطع مصائر أمم.. والمعركة تقتضى التقسيم على مرحلتين.. وقلت ل(أبواللطف) إن هذا الكلام لا أستطيع قبوله.. وأنا بإذنك سوف أغلق إذاعة فلسطين.. والمحطات والإذاعات كلها.

ولم يصدق (أبواللطف) هذا.. ثم أرسل لى (أمين هويدى) البرقية السابق الإشارة إليها.. وأنا أرى أن الحفاظ على سلامة المعركة العر بية هو الأهم.. وليست السيادة أوالسياسة المصرية.. لكن هنا أيضاً ضرورات المعركة تحتم علىّ أن أغلق الإذاعات.

فقال لى انتظر حتى يأتى (ياسر عرفات) قلت له لما يأتى (ياسر عرفات) سوف نتحدث.. والشيء المهم أن (حسن صبرى الخولى) قابل (ياسر عرفات) ومعه رسالة وترجيته وقلت ل(حسن صبرى الخولى) قول لـ (ياسر عرفات) إنه يضعنى شخصياً في موقف صعب لأنه سيضطرنى أن آخذ قراراً صعباً وأنا عندى حالة تمزق عاطفي بين ضرورات.. وبين أوضاع لا أستطيع قبولها.. وكنت قد رأيت تقرير الخولى عند لقائه مع عرفات وكنت قد رأيت هذا التقرير قبل رؤية (أبواللطف) بربع ساعة.. هذا التقرير.. وقال له إنه سيحاول الحضور لكن صعبا أن يخرج الآن وأنه يفهم موقفنا وأنه تحت ضغوط من جبهات عديدة والدول والعراق وسوريا.

وسأحاول قدر ما أستطيع.. ومعى تقرير (أمين هويدى).. وقلت إن هذا الكلام بالنسبة لى استحالة مادية وأننى سأغلق هذه المحطة وكتبت بيانا وقلت له إننى لا أريد أن أسىء لك أو للمقاومة وحاولت بقدر ما أستطيع أن أكون مهذبا في هذا البيان وكتبته بخطى وقرأته له وقلت له إننى سأعطى هذا للإذاعة وقلت له إننى أريد أن أتأكد منك أنه ليس في هذا البيان إساءة لكم وأنتم وضعتمونى في موقف في منتهى الصعوبة.. واطلع على البيان وكان نصه:

"اتخذت السلطات المختصة بالجمهورية قراراً يقضى بوقف إرسال الإذاعات التى توجهها الإذاعات الفلسطينية وقد تقرر ذلك بعد الموقف التى اتخذته المنظمات الفلسطينية إيذاء قبول مصر لما يسمى بالمبادرة الأمريكية وأن الجمهورية العربية المتحدة شرحت وجهة نظرها لهذا الأمر بكل الوسائل وعلى جميع المستويات والرأى العام ومن هذه الوسائل إيضاحات وضمانات مباشرة قدمت للمنظمات المصرية المسئولة..

وموقف العربية المتحدة واضح.. وتمسكها به يشهد عليها تاريخها وتضحيتها ونحن نقدر العلاقات وأن هناك علاقات ملتبسة بين المنظمات وكنا نضع هذه الموجات تحت تصرف الثورة لكن ليس تحت تصرف اتجاهات معينة لها مقاصدها ولها أهدافها لأن في هدف المقاومة وفي قتال إسرائيل نحن نضع كل الوسائل أما في تصورات سواء في خلافات بينها تؤدى لمواقف تعاكس سياستنا وتقال على وسائلنا فهذا وضع لا يمكن قبوله.

وبعد أن قرأ (أبواللطف) البيان في مكتبى لم يكن يصدق وسألنى هل سينفذ فقلت له طبعا وطلبت من مدير الإذاعات وحدثت ضجة كبيرة جداً.. وكما قلت قبل ذلك بالفعل أن العاطفة لا مجال لها خاصةً في مصالح وأمن شعب ولكن ما هو صحيح قد لا يكون صالحا في كل الظروف.. وفي هذه الظروف كنت موجودا في هذا وعادة يُقبل التناقض بين العقل والعاطفة ويواجه هذا التناقض بين الأمن والمصالح للشعوب وبين الدواعى التى قد يراها إقليم ويفهم نبل مقاصدها لكن يضطر آسفا أن يتخذ إجراءات لابد أن يتخذها.. وهنا يتخذ هذه الإجراءات ومشاعره الشخصية سوف تدفع ضرائب هذا التصرف.. وأنا في هذه الليلة التى أغلقت فيها هذه الإذاعات جلست في مكتبى.. ومهما كانت ضرورات الأمن فكان هناك جزء مني يشعر بحزن شديد جداً.

❖❖❖